بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَنْبِيْهُ المجَاهِدِيْنَ الأَبْرَارْ إِلَى أَنَّ التَّحَيُّزَ "البَاطِلَ" هُوَ التَّوَلِّيْ وَالفِرَار

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالِمِيْنَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى إِمَامِ المجَاهِدِيْنَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِيْنَ، أَمَّا بَعْدُ:

فَقَدْ شَاعَتْ بَيْنَ صُفُوْفِ الجنْدِ قَالَةٌ خَبِيْثَةٌ، وَبِدْعَةٌ شَنِيْعَةٌ، تُوْشِكُ بِقَائِلِهَا أَنْ يَتَرَدَّى فِيْ مَدَارِكِ الهَوَى، وَيَتَقَحَّمَ مَهَاوِيَ الضَّلَالِ، لِمَا تَتَضَمَّنُهُ مِنَ القَوْلِ عَلَى اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَالإِقْدَامِ عَلَى فَهْمِ كِتَابِهِ وَآيَاتِهِ بِمَحْضِ الرَّأْيِ الفَاسِدِ دُوْنَ تَلَمُّسٍ لِنُوْرِ السُّنَّةِ وسِرَاجِ الأَثَرِ.

أَلَا وَهِيَ فَهْمُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٦﴾ ﴾[الأنفال] عَلَى غَيْرِ وَجْهِهِ، وتَأْوِيْلُهُ عَلَى خِلَافِ مَوْرِدِهِ، وَلَقَدْ رُوِيَ عَنِ الخلِيْفَةِ أَبِيْ بَكْرٍ الصِّدِّيْقِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «أَيُّ سَمَاءٍ تُظِلُّنِي، وَأَيُّ أَرْضٍ تُقِلُّنِي إِذَا قُلْتُ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا لَا أَعْلَمُ»(١).

وَقَدْ زَعَمَ القَوَّالُوْنَ عَلَى اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَنَّ تَرْكَ نُقَاطِ الرِّبَاطِ وَالفِرَارَ مِنْ مَوَاطِنِ الاشْتِبَاكِ فِيْ كَثِيْرٍ مِنَ الأَرْيَافِ وَأَطْرَافِ الوِلَايَاتِ إِلَى قَلْبِهَا أَوْ إِلَى المدُنِ المحَصَّنَةِ مِنَ التَّحَيُّزِ الجَائِزِ شَرْعا، فَقُبِّحَ هَذَا الفَهْمُ وَقُبِّحَ قَائِلُهُ، بَلْ هُوَ -واللهِ- الفِرَارُ المذْمُوْمُ الذِيْ تَوَعَّدَ اللهُ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ فَاعِلَهُ بِالغَضَبِ، وَجعَلَ مَأْوَاهُ -إِنْ لَمْ يَتُبْ- جَهَنَّمَ وَبِئْسَ المصِيْرِ، وَهُوَ دَاخِلٌ فِيْ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ ... وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ...»(٢).

وَالصَّوَابُ الذِيْ عَلَيْهِ المحَقِّقِوْنَ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ وَالتَّفْسِيْرِ، أَنَّ هَذَا الإِذْنَ بِالتَّحَيُّزِ إِلَى الفِئَةِ المسْلِمَةِ إِنَّمَا هُوَ فِيْ جِهَادِ الطَّلَبِ لَا فِيْ جِهَادِ الدَّفْعِ الذِيْ يُخْشَى مِنْهُ اسْتِبَاحَةُ الحُرُمَاتِ وَاسْتِبْدَالِ حُكْمِ اللهِ بِحُكْمِ الطَّاغُوْتِ.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُٱللَّهُ: "وَقِتَالُ الدَّفْعِ مِثْلُ أَنْ يَكُونَ الْعَدُوُّ كَثِيرًا لَا طَاقَةَ لِلْمُسْلِمِينَ بِهِ، لَكِنْ يُخَافُ إنْ انْصَرَفُوا عَنْ عَدُوِّهِمْ عَطَفَ الْعَدُوُّ عَلَى مَنْ يُخَلَّفُونَ مِنْ الْمُسْلِمِينَ، فَهُنَا يَجِبُ أَنْ يَبْذُلُوا مُهَجَهُمْ وَمُهَجَ مَنْ يُخَافُ عَلَيْهِمْ فِي الدَّفْعِ حَتَّى يَسْلَمُوا، وَنَظِيرُهَا أَنْ يَهْجُمَ الْعَدُوُّ عَلَى بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ وَتَكُونَ الْمُقَاتِلَةُ أَقَلَّ مِنْ النِّصْفِ، فَإِنْ انْصَرَفُوا اسْتَوْلَوْا عَلَى الْحَرِيمِ؛ فَهَذَا وَأَمْثَالُهُ قِتَالُ دَفْعٍ لَا قِتَالُ طَلَبٍ **لَا يَجُوزُ الِانْصِرَافُ فِيهِ بِحَالٍ وَوَقْعَةُ (أُحُدٍ) مِنْ هَذَا الْبَابِ**"ا.هـ.[الفتاوى الكبرى ٥/٥٣٩ بتصرف يسير].

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف [٣٠١٠٣ و٣٠١٠٧]، وأبو عبيد في فضائل القرآن [صـ:٣٧٥]، والطبري في تفسيره [٥٨/١]، والبيهقي في الشعب [٢٢٧٨]، وابن عبد البر في الجامع [٥٢/٢] من طرق عدة لا تخلو من مقال، لكنها تتقوى باجتماعها وترتقي إلى درجة الحُسْن.

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، رواه البخاري [٢٧٦٦]، ومسلم [٨٩].

وَقَدْ عَاتَبَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ الذِينَ فَرُّوا يَوْمَ أُحُدٍ مَعَ كَوْنِ المُشْرِكِيْنَ نَاهَزَ عَدَدُهُمْ أَكْثَرَ مِنْ ثَلاثَةِ أَضْعَافِ المُسْلِمِيْنَ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ** ﴾[آل عمران:١٥٥]، فَبَيَّنَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أَنَّ تَوَلِّيْهِمْ عِنْدَ الْتِقَاءِ الجَمْعَيْنِ مِمَّا اسْتَزَلَّهُمْ بِهِ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا، وَلَوْ كَانَ التَّوَلِّيْ فِيْ مِثْلِ هَذِهِ الحَالَةِ جَائِزًا -كَهُجُوْمِ الأَحْزَابِ- لَمَا وَقَعَ هَذَا اللَّوْمُ وَالعِتَابُ.

قَالَ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِيْ بَيَانِ المَسْأَلَةِ: "فَقِتَالُ الدَّفْعِ أَوْسَعُ مِنْ قِتَالِ الطَّلَبِ وَأَعَمُّ وُجُوبًا، وَلِهذا يَتَعَيَّنُ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ [أَنْ] يُجَاهِدَ فِيْهِ: العَبْدُ بِإِذْنِ سَيِّدِهِ وَبِدُوْنِ إِذْنِهِ، وَالوَلَدُ بِدُوْنِ إِذْنِ أَبَوِيْهِ، وَالغَرِيْمُ بِغَيْرِ إِذْنِ غَرِيْمِهِ، **وَهَذَا كَجِهَادِ المُسْلِمِيْنَ يَوْمَ (أُحُدٍ) وَ(الخَنْدَقِ)**. وَلَا يُشْتَرَطُ فِيْ هَذَا النَّوْعِ مِنَ الجِهَادِ أَنْ يَكُوْنَ العَدُوُّ ضِعْفَيْ المُسْلِمِيْنَ فَمَا دُوْن؛ فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَوْمَ (أُحُدٍ) وَ(الخَنْدَقِ) أَضْعَافَ المُسْلِمِيْنَ، فَكَانَ الجِهَادُ وَاجِبًا عَلَيْهِمْ؛ لِأَنَّهُ حِيْنَئِذٍ جِهَادُ ضَرُوْرَةٍ وَدَفْعٍ، لَا جِهَادَ اخْتِيَارٍ. **فَجِهَادُ الدَّفْعِ يَقْصُدُهُ كُلُّ أَحَدٍ، وَلَا يَرْغَبُ عَنْهُ إِلَّا الجَبَانُ المَذْمُوْمُ شَرْعًا وَعَقْلًا**"ا.هـ.[الفروسية ١/١٢٣ بتصرف يسير].

وَقَالَ أَبُوْ مُحَمَّدِ ابْنُ حَزْمٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "**إِجْمَاعُ الأُمَّةِ عَلَى أَنَّهُ إِذَا نَزَلَ العَدُوُّ سَاحَتَنَا فَفَرْضٌ عَلَيْنَا الكِفَاحُ وَالدِّفَاعُ**"ا.هـ.[الإحكام في أصول الأحكام ٤/٩٢].

فَدَعُوا عَنْكُمْ يَا جُنُوْدَ الإِسْلَامِ الوَسَاوِسَ وَالأَوْهَامَ، وَاطْمَحُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَجِوَارِ المَلِكِ العَلَّامِ، وَاذْكُرُوا قَوْلَ النَّبِيِّ الإِمَامِ، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ»(٣).

فَحَصِّنُوا ثُغُوْرَ قُلُوْبِكُمْ بِالتَّقْوَى وَالصَّالِحَاتِ، وَحَصِّنُوا ثُغُوْرَ جِهَادِكُمْ بِالبَسَالَةِ وَالثَّبَاتِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الأُمَّةَ كُلَّهَا تَرْقُبُ جِهَادَكُمْ وَبُطُوْلَاتِكُمْ، فَلَا تَخْذُلُوا دِيْنَ اللهِ وَعِبَادَهُ، وَلَا يُؤْتَيَنَّ الإِسْلَامُ مِنْ قِبَلِكُمْ وَأَلِحُّوا عَلَى اللهِ بِالدُّعَاءِ، وَأَظْهِرُوا ذُلَّكُمْ وَضَعْفَكُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَأَحْسِنُوا الظَّنَّ بِهِ؛ فَهُوَ الكَرِيْمُ الرَّحِيْمُ اللَّطِيْفُ بِعِبَادِهِ.

وَتَأَمَّلُوا حَالَ أَصْحَابِ طَالُوْتَ الَّذِينَ جَاوَزُوا النَّهْرَ، فَقَالَ ضُعَفَاءُ الإِيْمَانِ مِنْهُمْ: ﴿ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ﴾ فَحَكَى اللهُ جَوَابَ أَصْحَابِ اليَقِيْنِ بِمَا عِنْدَ اللهِ وَلِقَائِهِ: ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾.

وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

---

(٣) متفق عليه من حديث عبد الله بن أبي أوفى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، رواه البخاري [٣٠٢٤]، ومسلم [١٧٤٢].